

## وحدة س. الهجرة والاندماج للأستاذ خالد شهباز.

### تلخيص: أناس عوينات

#### 1- أهمية الدرس السوسولوجي حول الهجرة:

- المغرب من أكبر الدول المصدرة للهجرة. 13.80% من مواطنيه مهاجرين، حوالي 80% منهم بأوروبا. استضاف المغرب توقيع "الميثاق العالمي للهجرة الآمنة و النظامية والمنظمة" سنة 2018 و التي تهدف إلى: التصدي للعوامل الدافعة للهجرة مثل الهشاشة، ومناهضة الاحتجاز الإداري التعسفي للمهاجرين ومناهضة العنف و التمييز ضدهم وتمكينهم من حقوقهم الأساسية، وتقوية التعاون الدولي من أجل الهجرة الآمنة وتسهيل عودة المهاجرين وإدماجهم.
- تحول المغرب من بلد انطلاق فقط إلى بلد استقرار و "عبور". ينتقد بعض الباحثين هذا المفهوم الأخير ويستبدلونه بمفهوم "الطور الهجروي" بسبب امتداد هذا العبور في الزمان والمكان بالنسبة للمهاجرين.
- تحول المشهد الهجروي المغربي، حيث أصبحت الهجرة تشمل فئات اجتماعية جديدة مثل النساء والقاصرين غير المرتفقين و الطبقات المتوسطة و الفئات المتعلمة. كما أصبحت تشمل مجالات جغرافية متنوعة ووجهات متعددة.
- ارتفاع رغبة المغاربة في الهجرة خصوصا الشباب. 23.3% من المغاربة يرغبون في الهجرة. 28.6% من الرجال و 17.7% من النساء.

#### 2- خصائص المشهد الهجروي العالمي:

- ارتفاع عدد المهاجرين في العالم من 173 مليون سنة 2000 إلى 281 مليون سنة 2020 ، رغم الارتفاع البطيء للنسبتهم من ساكنة العالم من 2.8% سنة 2000 إلى 3.6% 2020.
- تحول بعض الدول من مصدرة للهجرة إلى دول عبور و استقرار مثل المغرب و تركيا و المكسيك.
- أصبحت التدفقات الهجروية تتجه أيضا من دول الشمال إلى الجنوب بسبب بطالة الشباب و هجرة المتقاعدين بسبب غلاء المعيشة.
- المهاجر كما تعرفه الأمم المتحدة هو "الشخص الذي يقطن ببلد لم يولد فيه لمدة عام واحد كحد أدنى".
- ارتفاع نسبة التدفقات الهجروية جنوب-جنوب. فالهجرة بين الدول الإفريقية مثلا تفوق التدفقات الهجروية التي تخرج منها، و تتمحور حول 6 أقطابوهي: الكوت دي فوار، نيجيريا، السنغال، الغابون، جنوب إفريقيا، ليبيا.
- تعدد طرق ومسارات الهجرة غير النظامية نحو أوروبا: (الطريق الذي يمر عبر تركيا و البلقان- الطريق الذي يربط تونس وليبيا بجزيرة لامبيدوزا- الطريق الذي يمر عبر جبل طارق أو سبتة و مليلية- الطرق التي تربط بين المغرب أو موريتانيا أو السنغال أو غامبيا و بين جزر الكناري)
- تنوع بروفايلات المهاجرين الدوليين: شباب ذكور متعلمين أو من الفئات المتوسطة- نساء متعلمات – أطفال قاصرين غير مرتفقين- نخب ذات كفاءة عالية (هجرة الأدمغة)- شباب ذوو مهارات مهنية ضعيفة- حركات منظمة تتخذ الهجرة كنمط عيش- اللاجئين بسبب الاضطرابات السياسية.
- ارتفاع الرقابة على الحدود و تقييد التنقل مقابل انفتاح الدول على بعضها و حرية تنقل الرساميل و الأفكار في سياق العولمة. و ارتفاع ضغط "المخيل الهجروي: التمثلات التي تعطي معنى للفعل الهجروي" بفعل وسائل الإعلام التي ترسم صورة فردوسية لأوروبا.

#### 3- المشهد الهجروي العالمي، و سياقاته العامة:

- تضخم الخطاب حول سؤال الهوية أو "عودة المكبوت":
  - لم يمنع انفتاح الدول على بعضها اقتصاديا وسياسيا و ثقافيا من تنامي تفككها و ظهور و تنامي الحركات القومية المطالبة بالاعتراف بخصوصيتها و حتي الانفصال من جهة، و تزايد الحواجز المادية بين الدول و المجتمعات.
  - لقد برز ضعف أو خطأ افتراضات اضمحلال الدين أمام تقدم العلوم. فقد تنامي الخطاب الديني و الانكفاء الهوياتي و التمييز بسبب الدين و العرق و اللون (الإسلاموفوبيا). و تراجعت الثنائيات الطبقية أمام تنامي الثنائيات العرقية و الدينية و المذهبية خصوصا في الخطاب الإعلامي.
  - أصبح هذا الواقع الموضوعي يساهم في عرقلة إدماج المهاجرين ببلدان الاستقبال.
- تزايد نفوذ الأحزاب القومية الشعبوية اليمينية:
  - الشعبوية: تعتبر الشعب كتلة واحدة منسجمة و نقية و تعتبر الحركات الشعبوية نفسها أنها تنفرد بتمثيلته، الشيء الذي يسميه يان-فيرنر مولر "الاحتكار الأخلاقي للتمثيلية".
  - ترفض التعدد الإثني و الديني و تعتبر المهاجرين نفايات بشرية تفسد نقاء الشعب.
  - تعتبر تزايد الماجرين خطرا سيعصف بوجود السكان الأصليين.
  - تعارض النخب الحاكمة و تعتبرها فاسدة
- ضد تكتل الاتحاد الأوروبي الذي تعتبره يصادر قرارات الشعوب. و ضد الليبرالية السياسية التي يتبناها الاتحاد. و ضد الحريات الفردية و حماية الأقليات و يدعو لمحاربة الغزو الثقافي. ومع الحمائية و ضد التبادل الحر.
- يتوفر على زعماء كارزماتيين يجيدون الخطابة و دغدغة المخزون الانفعالي للناس.
- أمثلة عن بعض الأحزاب الشعبوية اليمينية: استطاعت أن تبرز في المشهد السياسي في السنوات الأخيرة، أبرزها صعود ترامب لرئاسة أمريكا و حصول حزب العصبة الإيطالي على 6 حقايب وزارية سنة 2018. و حصول حزب التجمع الوطني بفرنسا على 32.3% من الأصوات في الانتخابات التشريعية سنة 2019. و حصول حزب الاتحاد المدني الهنغاري على

52.6% من الأصوات في الانتخابات التشريعية لسنة 2019... إلخ. وقد استطاعت أن تجعل من موضوع الهجرة تيمة للتجانبات المجتمعية في كل الاستحقاقات الانتخابية.

● انتشار "نظرية" الاستبدال العظيم:

- 48% من الفرنسيين مقتنعين بـ"نظرية" الاستبدال العظيم لرونو كامو Renaud Camus التي تقول أن النخب السياسية و الفكرية و الإعلامية تسعى لاستبدال الشعوب الأصلية لأوروبا. و التي تعتقد أنه يمكن أن يقع في غضون جيل واحد (25 سنة) بفعل دفاع هذه النخب عن المهاجرين الذين يعرفون نموا ديمغرافيا متزايدا بفعل خصوبتهم و تزايد معدلات الهجرة. و هكذا سيتم استبدال الشعب الفرنسي مثلا في اعتقادهم بمسلمي دول المغرب الكبير. و هذه في نظر كامو مؤامرة سرية كونية تتم تحت مظلة الحق في حرية التنقل و التعددية الثقافية.

**4- سوسيولوجيا الهجرات. الموضوع والمقاربة.**

● الهجرة كواقعة اجتماعية كلية:

- مارسيل موس: الهجرة "واقعة اجتماعية كلية" فهي تغطي كل أبعاد الوجود الإنساني، السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية و الرمزية و القانونية.
- تهتم بالهجرة كل العلوم الإنسانية، و تتناولها من زوايا مختلفة، كالديموغرافيا و الجغرافيا و علم الاقتصاد و العلوم السياسية و الفلسفة و علم النفس... إلخ.
- موضوع سوسيولوجيا الهجرة:

- تكشف المقاربة السوسيولوجية عن كيفية اشتغال الهجرة و تحولاتها و ميكانزماتها و عن وضعيات السيطرة الاجتماعية و العنف الذي يواحه المهاجرون، و عن امتداد فعل الدولة خارج حدودها الجغرافية.
- انتقلت سوسيولوجيا الهجرة في إطار تطورها من الاهتمام بدوافع الهجرة و سوسيولوجيا الوفود و إشكالية الاندماج، إلى التركيز على الهجرات العابرة للحدود و أشكال الجولان الهجروي و اقتصاد الجولان. أي انتقلت من المقاربة التي تعتبر المهاجرين جماعة مسيطر عليها إلى المقاربة التي تعتبرهم جماعة مسيطرة داخل المجال العابر للحدود.
- تسعى سوسيولوجيا الهجرة إلى بلورة إطار نظري لتفسير الديناميات الهجروية. من حيث دوافع الفعل الهجروي و آثاره على بلدان المغادرة و الاستقرار.
- و تسعى للمقاربة السوسيولوجية لظاهرة الهجرة بالنظر إليها كواقعة اجتماعية بعيدا عن الرؤية الوصفية التقديرية و النظرة ذات الطابع المعياري الملينة بأحكام القيمة.
- و تسعى للتمييز بين أنواع الهجرة بناء على مدتها و أسبابها و طرقها و مساراتها و وجهاتها.
- كما تسعى لتجاوز المقاربة الأخلاقية و التقنية للهجرة عبر التنبيه لبعدها السياسي، أي بربطها بإشكالية توزيع السلطة داخل مجتمعات الانطلاق و بطبيعة علاقة القوة بين الدول المصدرة و المستقبلة للهجرة و بالنظام الاجتماعي و السياسي بدول الاستقبال. فسوسيولوجيا الهجرة ليست هي سوسيولوجيا بلد المغادرة فقط بل وبالضرورة هي سوسيولوجيا بلد الاستقبال أيضا.

**5- سوسيولوجيا الهجرة و بناء مفهوم الاندماج:**

لتحويل مفهوم الاندماج إلى أداة نظرية للتحليل السوسيولوجي تقوم سوسيولوجيا الهجرة بمجموعة من الخطوات:

- تخلص المفهوم من المعاني السائدة في الحس المشترك من قبيل الخلط بينه و بين مفهوم الانصهار الذي يعني تغييب هوية المهاجر و الخلط بينه و بين الإدماج السوسيو-مهني.
- تجاوز فهم الفاعل السياسي و الفاعل الإعلامي اللذان يختزلان مفهوم الاندماج في وضعية المهاجر. فالسوسيولوجيا لا تسائل اندماج المهاجر فقط بل تسائل حتى اندماج المجتمع في حد ذاته..
- تمييز مفهوم الاندماج عن المفاهيم القريبة منه: كمفهوم الانصهار الذي تعتبر مدرسة شيكاغو آخر المراحل الأربعة لعملية التناقص لكن سوسيولوجيا الهجرة تعتبر فشل لسيرورة الاندماج لأنه يعني إلغاء ذات و هوية المهاجر. و تمييزه عن مفهوم التناقص حيث تعتبر التناقص يشمل بعدا واحدا من أبعاد الاندماج و هو البعد الثقافي. و تمييزه أيضا عن مفهوم الإدماج السوسيو-مهني الذي تعتبره أيضا بعدا واحدا من أبعاد الاندماج.
- تميز سوسيولوجيا الهجرة بين سياسات الاندماج المعتمدة في دول الاستقبال و التي يحضر فيها الاندماج كادعاء أو كهدف قد لا يتحقق و بين سيرورات الاندماج كواقعة اجتماعية تتداخل فيها المعطيات الموضوعية كسياسات الإدماج و الذاتية المرتبطة بقابلية المهاجر ذاته للاندماج.
- ثم تعمل في النهاية على إجراء مفهوم الاندماج من خلال تحديد أبعاده و مؤشراتهما، من قبيل:
  - البعد المؤسساتي: من خلال معدلات الشغل و التمدرس و المشاركة السياسية و الانخراط في المجتمع المدني و معدلات الانحراف و الجريمة.
  - البعد العلائقي: من خلال البروفایل الأسري و الديموغرافي (عدد الأطفال، معدلات الطلاق... إلخ).
  - البعد الثقافي: المؤهلات الثقافية، المستوى الدراسي و اللغة، درجة احترام القوانين و مستوى التثبث بالخصوصية الثقافية.